

## قوى دولية ترى في كورونا فرصة لتحقيق أهداف استراتيجية

تجاوز الوباء في أسرع وقت ضروري للصحة العامة والاقتصاد والسياسة الدولية



فرصة للصين

فايروس كورونا  
يهز «الاستثناء الأميركي»

كالفن وودوود

تواجه هذا السؤال كلما ساعات الأمور (عندما يشن الإرهابيون ضربة، وتغمر الأعاصير المدينة بالمياه، ويطلبها الوباء). رأت الولايات المتحدة هذا قبل 15 سنة ووقيت غير مستعدة.

وقال الرئيس جورج دبليو بوش في 2005: "إذا ضربت جائحة، يجب أن تجد بلدنا قدرة كبيرة تسمح لها بإحضار لقاح جديد بسرعة وتصنيع ما يكفي لتحسين كل أميركي ضد الوباء".

وقال مايكل ليفيت، الذي كان وزير الصحة والخدمات البشرية آنذاك، إن الهدف الرئيسي يكمن في جعل كل أميركي قادراً على الوصول إلى لقاح في حال تفشي جائحة، بغض النظر عن الفايروس.

توقعت العديد من الإجراءات التي اتخذتها الحكومة الفيدرالية وحكام الولايات، نقائص اليوم. ودرست فكرة تعليم الأطفال عن بعد حين كان التلفزيون الوسيلة الأنسب. وبحثت في كيفية وصول المواطنين الفوري إلى المشورة بشأن ما إذا كانوا سيتركون الحجر الصحي في المنزل لطلب الرعاية. وفي تكساس، كانت الخطة تشمل أن يشرف الأطباء المتقاعدون على الهواتف، وخصصت مقطورات في كولورادو. وكانت مليئة بالإمدادات الطبية وأسرة الأطفال ووضعت في مواقع سرية.

ولكن على الرغم من كل الإبداع والطموح، لم تنفق من نصف الولايات أياً من أموالها على الاستعداد الذي تدعّمه واشنطن.

وفي السنوات التي تلت الأزمة الاقتصادية، والمزيد من الحروب، ضعف الجهد الفيدرالي أيضاً. وقال بوش إن البلاد تلقت تحذيراً عادلاً من هذا الخطر، مشيراً إلى تفشي الإنفلونزا في 1918.

لكن بعد النظر أصبح من الماضي. ويبدو الأمر كما لو أنه لم يكن موجوداً مع ترامب. وقال ترامب إن الوباء يمثل مشكلة غير متوقعة، جاءت من العدم.

إنها تريد منك الشفاء مما تعاني منه دون مساعدة الطبيب وتأجيل العمليات الجراحية بجميع أنواعها إذا كان بإمكانك الانتظار.

تمتلك الولايات المتحدة جملة من المؤسسات الطبية التي "لطالما حسدها العالم عليها"، مثل المراكز الفيدرالية لمكافحة الأمراض واتقائها والمعاهد الوطنية للصحة. لكن أين النتائج؟

الرؤية تشخيص فعال في وقت تفشي العدوى، أبحاث في الإشارات العربية المتحدة، أو ألمانيا، أو نيوزيلندا، التي أسرعت لاختبار السكان قبل أن يعرف الكثيرون أنهم مرضى.

أو إلى كوريا الجنوبية، التي التجأ إليها حاكم ولاية ماريلاند الجمهوري لاري هوغان الذي أبرم صفقة لتلقي 500 ألف مجموعة اختبار من سول لتعويض النقص في الولايات المتحدة. وأطلق على المساعدة اسم عملية الصداقة الدائمة. وأزجعت العملية ترامب الذي كان دائماً ما يردد شعار "أميركا أولاً".

**لرؤية تشخيص فعال أبحاث في الإمارات أو ألمانيا التي أسرعت لاختبار السكان قبل أن يعرف الكثيرون أنهم مرضى**

نجح الإمداد الطبي الاحتياطي في حالات الطوارئ في 2015، حيث سرّع إنتاج 50 جرة من المضادات الحيوية إلى أوهايو عندما أكل الناس البطاطس الفاسدة في الكنيسة. مات شخص واحد، ومرض العشرات، ولكن السلطات نجحت في القضاء على التسمم الغذائي في مهده. ولكن المخزون استنزف قبل الزروة في جائحة اليوم.

تقاس المؤسسات العامة بطول نظرها وباستجابتها. فلماذا لم تر هذه اللحظة لما كانت في الأفق؟ وهي

ماذا لو كانت مؤسسات أميركا نفسها "العدو غير المرئي"؟

عندما جاء الفايروس من أراض بعيدة إلى الولايات المتحدة، قوبل بفشل وعدم كفاءة نظام لم يستطع التعامل مع أزمة وطنية. هن خطر فايروس كوفيد 19 فكرة "الاستثناء الأميركي" في دولة ذات قوة لا مثيل لها. لم تستطع أميركا أن تقدم ما يكفي من القطن اللازم لأخذ العينات على الرغم من قوى التصنيع والإمداد في زمن الحرب التي يفترضها الرئيس دونالد ترامب.

وحولت الأزمة الأطباء في مدينة نيويورك الشهيرة إلى متسولين لأنهم لم يتمكنوا من الحصول على الملابس الطبية الواقية. ودفعت مديراً تنفيذياً بمستشفى ماساتشوستس إلى الشارع لإبرام صفقة عبر سلسلة تصل إلى موظف سمع عن مستودع للاقعة على بعد أكثر من خمس ساعات من المؤسسة الاستشفائية. وأصبح الأمر بمثابة تهريب للاقعة في شاحنات للمواد الغذائية على طريقين منفصلين في حال تم اعتراض حمولة واحدة منهما على الطرق السريعة في الشمال الشرقي.

وقال الدكتور أندرو دبليو أرتنستين من "بايستايس هيلث" غير الربحية في ماساتشوستس، إنه لم يكن يتوقع أن تصل الأمور إلى هذا الحد في بلد غني ومتطور بدرجة عالية ويملك أحدث العلوم والتكنولوجيا والمواهب.

في وقت الحاجة القصوى، لا تريد الدولة التي تُعرف بأغلى نظام رعاية صحية في العالم أن تستغل مزاياء إذا كنت مريضاً ولكنك لا تعاني من الأعراض الشديدة.

ويستهلك نظام الرعاية الصحية الذي يجمع بين القطاعين العام والخاص 17 في المئة من الاقتصاد. لكن المؤسسات الصحية تفرض عليك البقاء في المنزل وإن كنت مصاباً ما لم تكن من بين الأقلية المعرضة لخطر الموت.

وفعالياتها الآن. وقد تمت مقاطعة الإيقاع الطبيعي لسياسة الولايات المتحدة، على الرغم من استمرار ما أطلق عليه جورج كيبان "الإيقاع الدائم للصراع" في الشؤون العالمية.

ويبدو أن الصينيين قد لاحظوا ذلك بالتأكيد. فقد نكر الموقع الصادر باللغة الإنجليزية جيش التحرير الشعبي الصيني بشكل غير مباشر أن فايروس كورونا "خُصص بشكل كبير القدرة على نشر السفن التابعة للبحرية الأميركية في منطقة آسيا والمحيط الهادئ".

على الرغم من أنه من الصعب، وربما من الخطأ، رسم خط مستقيم بين هذا التراجع الأميركي المؤقت وسلوك بكين كنتيجة له، فإن تصور أن واشنطن مشغولة أو ضعيفة سيؤثر في النهاية على لاعبين ووديين ومعادين على حد سواء.

وسيكون التأثير مضاعفاً. أولا فايروس كورونا يؤكد بطريقة مثيرة للغاية أنه إذا كانت الولايات المتحدة في حالة من الفوضى داخلياً، فلن يكون أداءها جيداً كقوة عالمية. حتى لو افترضنا تعافياً سريعاً من الوباء، هناك تكلفة طويلة المدى لسياسة الولايات المتحدة باستهلاك الكثير من الأموال التي يجب أن تسدّها في نهاية المطاف، وجزئياً من خلال الضغط على ميزانية البنتاغون.

وإذا عانت الولايات المتحدة أو تعرضت لركود لفترة أطول، ستكون هناك آثار متتالية على مشاركتها في الخارج. وتعد صحة المواطنين والأزدهار من الركائز الأساسية للحكم في أميركا، وعندما ينهاران فسينهار النظام الذي تقوده أميركا.

وسيكون هذا أمراً مأساوياً لأن النصيحة الثانية هي أن أميركا المشلولة أو المركزة داخلياً ستؤدي إلى وجود عالم مضطرب. وكما كتب عالم السياسة هيدلي بول في كتابه "المجتمع الفوضوي" فإن الشؤون العالمية تعتمد على منافسة مستمرة بين القوى المتعارضة. وستكون هناك دائماً جهات فاعلة مفرسة تتطلع إلى استغلال الضعف والاضطراب حتى إذا كان هذا الاضطراب يؤثر عليهم أيضاً. وإذا كان الأوصياء على النظام غائبين سيتم كسر التوازن ولن تكون النتائج جميلة.

لقد علمنا بالفعل أن اجتياز الوباء في أسرع وقت ممكن يعد أمراً ضرورياً للصحة العامة والاقتصاد. واتضح أيضاً أنه يشكل ضرورة استراتيجية.

الميناء أيضاً لأن طاقمها مصاب بفايروس كورونا. وتوقف تدريب القوات الأميركية واستعدادها في كوريا الجنوبية وأماكن أخرى بسبب القيود الصحية؛ وعلقت وزارة الدفاع الأميركية (البنطاغون) معظم الرحلات الجوية المحلية والدولية.

كما أن الدمار الذي أحدثه الوباء داخل الولايات المتحدة يثير حالة من الذعر، حيث جذب انتباه قادة البلاد. وكلما زاد الوقت الذي يكزسه كبار المسؤولين في البيت الأبيض والبنطاغون ووزارة الخارجية ومجلس الأمن القومي للتعامل مع تداعيات فايروس كورونا، قل الوقت الذي يكزسونه للتعامل مع التحديات القائمة.

**كل الدول أوقفت اقتصاداتها ومجتمعاتها بسبب كورونا. لكن في عالم السياسة الدولية لم تتوقف عن المنافسة**

ولا يجب أن نفترض أن الأخبار فقط هم الذين يتعرّضون للآذى، بالطبع. فقد دمر فايروس كورونا الشعب الإيراني. وقد تكون روسيا قد امتصت أيضاً أضراراً خطيرة أخففتها بنقص الشفافية الشعبي وعمليات إجراء اختبار الفايروس. وهناك من يعتقد أن جيش التحرير الشعبي الصيني يعاني كذلك.

في غضون ذلك، تحاول الولايات المتحدة توضيح أنها لم تخرج من اللعبة. وقد برهنت القوات الجوية مؤخرًا قدرتها على إطلاق قاذفات "بي 52" بنتابع سريع من قاعدة "أندرسين" الجوية في جوام، كتحذير للصين وكوريا الشمالية.

كما ردت الولايات المتحدة على وكلاء إيران بعد هجماتهم الصاروخية على قاعدة أميركية شمال بغداد.

**تأثير مضاعف**

يقول براندن إنه نظراً لأن الولايات المتحدة لديها الكثير من الالتزامات، فيجب عليها الموازنة بينها حتى في ظل الظروف العادية نسبياً. ولأن الصدمات التي تتعرض لها واشنطن يتم التركيز عليها بطريقة كبيرة عكس الصدمات التي تتعرض لها الأنظمة الاستبدادية والحرركات المتشددة، فإن من الطبيعي أن يثار التساؤل عن مدى انخراط واشنطن

وتحتمل الحكومات في جميع أنحاء العالم عن سبيل للخروج من جائحة كوفيد - 19، وتخفيف الألم الاقتصادي الناتج عن عمليات الإغلاق دون التسبب في أزمات صحية أكثر ضرراً، لكنها لم تنس في خضم ذلك "حروبها" الخارجية، ولم توجّل خططها الاستراتيجية، بل إن بعض الدول ترى في الفترة الراهنة فرصة لتحقيق بعض مما تصبو إليه.

نيويورك - لا تتوقف الجغرافيا السياسية خلال انتشار جائحة حتى وإن تغيرت الحياة التي نعرفها، وهو ما تؤكد الأحداث التي يشهدها العالم في العديد من المناطق الاستراتيجية، حيث ترى القوى الدولية المنافسة للولايات المتحدة في الجائحة فرصة لتحقيق أهدافها.

يقول المؤرخ الأميركي هال براندن إنه قبل تفشي فايروس كورونا المستجد، كانت الولايات المتحدة تحارب مشكلات على العديد من الجبهات في وقت واحد، من أوروبا الشرقية إلى الشرق الأوسط إلى المياه قبالة سواحل شرق آسيا.

ومنذ بدء تفشي الفايروس تحولت الطاقات الأميركية، إلا أن التحديات لم تتوقف. ويذكر فايروس كورونا بأن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تتحرك بشكل جيد في العالم إذا لم تكن على ما يرام في الداخل، كما أن الفايروس يوضح أنه كلما استمر تعثر الولايات المتحدة لفترة طويلة فإن العالم سيكون أكثر فوضى.

وفي تقرير له نشرته وكالة بلومبرغ يشير براندن إلى أن هناك انفصلاً ملحوظاً بين الشؤون الداخلية والخارجية للدول حالياً. فقد أوقفت الدول في كل قارات العالم اقتصاداتها ومجتمعاتها بشكل متعمد. كما تباطأت وتيرة التفاعلات الطبيعية إلى أقصى درجة لتصل إلى حد الزحف. ولكن في عالم السياسة الدولية لم تتوقف الأنماط الطبيعية للمنافسة ولم تهدأ.

**الصين تتحرك**

من المؤكد أن الصين لم تأخذ استراحة من محاولة الهيمنة على منطقة غرب المحيط الهادئ. ومؤخراً نفذت اعتقالات جماعية للقادة المؤيدين للديمقراطية في هونغ كونغ، متجاهلة القانون الأساسي "دولة واحدة ونظامان". كما عززت توسعها في بحر الصين الجنوبي، مع انتهاكات لمناطق متنازع عليها وإغراق قارب صيد فيتنامي وإنشاء هياكل إدارية جديدة تهدف إلى ترسيخ السيطرة على المناطق المتنازع عليها.

ويضيف براندن، وهو أيضاً أستاذ الشؤون الدولية بكلية الدراسات المقدمة التابعة لجامعة جونز هوبكنز، أنه في الخليج تحرّشت قوارب إيرانية بسفن تابعة للبحرية الأميركية كما هاجمت ميليشيات مدعومة من إيران منشآت أميركية في العراق الشهر الماضي في إطار دائرة مستمرة من الاستفزازات والرمد من الجانبين. وسجلت كوريا الشمالية رقماً قياسياً في وتيرة اختبارات الصواريخ، حيث أطلقت ثمانية أو ربما تسعة صواريخ في مارس الماضي.

وبلا من أخذ فترة راحة بسبب فايروس كورونا شنت حركة طالبان الأفغانية هجمات في العديد من الأقاليم. ومارست روسيا حيلها المعتادة بالتحضير لإرسال المرتزقة إلى ليبيا واختبار صاروخ مضاد للأقمار الصناعية ونشر نظريات مؤامرة لاستغلال التوترات داخل أوروبا، كما يفترض أنها تستعد للتدخل في الانتخابات الأميركية مرة أخرى.

ومن الصعب معرفة ما إذا كانت هذه الجهات الفاعلة تعتمد استغلال الفرصة الناتجة عن تفشي فايروس كورونا، أم أنها تفعل ببساطة ما تفعله عادة في ظل احتدام الوباء، إلا أن الأمر الواضح هو أنها تضغط لأن الولايات المتحدة مشتتة للغاية.

وكان تحويل اتجاه حامله الطائرات الأميركية تيودور روزفلت إلى جوام مبرراً تماماً، نظراً للأزمة الصحية الشديدة على متنها، ومع ذلك فقد سحببت مجموعة ضاربة من غرب المحيط الهادئ في وقت حساس. كما أن حامله الطائرات الأخرى في المنطقة، وهي رونالد ريغان، عالق في